الصَّلاة

□ الصَّلاة □

اعلموا إخواني ، أن الله عز وجل قدّر الصلاة ، وقدّمها على غيرها من العبادات ، وإنما يحافظ عليها مَنْ يعرف قدرها ، ويرجو أجرها ، ويخاف العقاب على تركها . وهذه صفة المؤمن ، وإنما يتوانى عنها ناقص الإيمان إنْ تكاسل ، أو كافر إنْ تهاون . وقد روى مسلم في صحيحه من حديث جابر – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة »[١] .

اعلموا أن من أحب المخدوم أحب الخدمة له ، لو عرف من يناجي لم يقبل على غيره ، والصلاة صلة بين العبد وربه .

الستر الأول في الأذان ، فالأذان كالإذن في الدخول ، والستر الحاظر : الإقامة ، فإذا كشف الغطاء لاح للمتقي قرة العين ، فدخل في دائرة المناجاة : « أرحنا بها يا بلال »[٢] فقد « جعلت قرة عيني في الصلاة »[٣] .

اكشف يا بلال ستر التقريب ، عن القريب الحبيب .

يا بطّال ، لو سافرت بلدًا لم تربح فيه حزنت على فوات ربحك ، وضياع وقتك ، أفلا يبكي من دخل في الصلاة على قرة العين ، ثم خرج بغير فائدة ، يصلي فيرسلها كالطيور إذا أرسلت من حصار القفص ، يقوم ويقعد مستعجلًا كمثل الطروب إذا ما رقص .

يا هذا ، اطلب قبل ماء الوضوء قلبك ، فإن وجدته فقدم إناءك .

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي .

(٢) جزء من حديث رواه أبو داود ، وصححه الأرناؤوط . جامع الأصول .

(٣) جزء من حديث أنس بن مالك ، رواه النسائي ، وأحمد في مسنده ، وحسّن إسناده عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول (٤ / ٧٦٦) .

يا هذا ، إنما يصطاد الطائر بمحبوبه من الحَبِّ ، ومحبوب القلب الطاهر ذكر الله ، فحرام على قلبك الحائم حول جيف الهوى ، ألقِ له حَبَّ الذكرِ على فخ الصدق ، في حديقة الصور ، لعله يقع في شبكة المعرفة(١) .

قال صلى الله عليه وسلم : « الصلاة خير موضوع ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر »(٢) .

لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان ، ومن كان أقواهم إيمانا ، كان أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتا وإيقانا ، كما قال المناوي – رحمه الله –(٣) .

وأي دعوة تريد أن تستقيم إلى الله ، فعليها أن تدلف من باب الاستقامة وبابها المحراب(٤) .

وسجود المحراب ، واستغفار الأسحار ، ودموع المناجاة سيماء يحتكرها المؤمنون .. ولئن توهم الدنيوي جناته في الدينار والنساء ، والقصر المنيف ، فإن جنة المؤمن في محرابه(٥) .

هي المعين الذي لا ينضب ، والزاد الذي لا ينفد ، والمعين الذي يجدد الطاقة ، والزاد الذي يزود القلب ، إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض ..

إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير ، إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة ، إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود ، إنها زاد الطريق ومدد الأرواح ، وجلاء القلب ، تفتح القلب ، وتوثق

---

(١) اليواقيت الجوزية (٤٤ ، ٤٥) .

(٢) حسن : رواه أحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في المستدرك ، والطبراني في الأوسط ، وحسّنه الألباني صحيح الجامع (٣٧٦٤) .

(٣) فيض القدير (٤ / ٢٤٧) .

(٤) الرقائق لمحمد أحمد راشد ص١٥ .

(٥) الرقائق لمحمد أحمد راشد ص٢٧ .

الصلة ، وتيسر الأمر ، وتشرق بالنور ، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان .

قال الحسن : يابن آدم ، إذا هانت عليك صلاتك فما الذي يعز عليك ؟! .

ألا يستحي من يستوفي مكيال شهواته ، ويطفف في مكيال الدين .. ﴿ **ألا بعدًا لمدين كما بعدت ثمود** ﴾ [هود : ٩٥] . إن كان الله قد توعد بالويل من طفف في مكيال الدنيا ، فكيف بمن طفف في مكيال الدين ؟!.

تعال معي أخي إلى الصلاة :

لمّا انقطع العبد عن الناس ، كان انقطاعه صلة بربه ، وسمّاها الله تعالى صلاة جزاءً وفاقًا ..

فلننظر .. كيف يكون الجزاء من جنس العمل في هذا الباب ...

قال تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ [البقرة : ١١٤] .

بيوت الله في الأرض التي يأمن فيها الخائف ، سلبوا الأمن منها ، وخوّفوا عباد الله فيها ، فكذلك لا يدخلونها إلا خائفين .. والجزاء من جنس العمل ..

قال ابن كثير(١) : اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد الله ، وسعوا في خرابها على قولين :

أحدهما : هم النصارىٰ . عن ابن عباس .

قال مجاهد ؛ هم النصارىٰ ، كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه .

وقال قتادة : هو بختنصر وأصحابه ، خرّب بيت المقدس ، وأعانه على ذلك النصارى .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٢٢٤ - ٢٢٦) .

وقال : أولئك أعداء الله النصارى ، حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس .

وقال السدي : كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس حتى خرّبه ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وإنما أعانهم الروم على خرابه ، من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا . وروي نحوه عن الحسن البصري .

القول الثاني : رواه ابن جرير عن ابن زيد : هؤلاء المشركون حين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة ، حتى نحر هديه بذي طوى ، وهادنهم ، وقال لهم : « ما كان أحد يصد عن هذا البيت ، وقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه وأخيه فلا يصده » ، فقالوا : لا يدخل علينا مَنْ قتل آباءنا يوم بدر ، وفينا باقٍ .

وفي قوله : ﴿ **وسعى في خرابها** ﴾ [البقرة : ١١٤] قالوا : إذا قطع من يعمرها بذكره ، ويأتيها للحج والعمرة . عن ابن عباس : أن قريشا منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن منع مساجد الله** .... ﴾ [البقرة : ١١٤].

ثم اختار ابن جرير القول الأول ، واحتج بأن قريشًا لم تسعَ في خراب الكعبة ، وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس .

قلت : والذي يظهر – والله أعلم – القول الثاني كما قاله ابن زيد ، وروي عن ابن عباس ؛ لأن النصارى إذا منعت اليهود الصلاة في البيت المقدس ، كان دينهم أقوى من دين اليهود ، وكانوا أقرب منهم ، ولم يكن ذكر الله من اليهود مقبولًا إذ ذاك ؛ لأنهم لُعنوا من قبل على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴿ **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** ﴾ [المائدة : ٧٨] وأيضًا فإنه تعالى لمّا وجه الذمّ في حق اليهود والنصارى شرع في ذمّ المشركين ، الذين أخرجوا الرسول ﷺ وأصحابه من مكة ، ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام ، وأما اعتماده على أن قريشًا لم تسع في خراب الكعبة ، فأي خراب أعظم مما فعلوا ؟ أخرجوا عنها رسول الله ﷺ وأصحابه ، واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم وشركهم ، كما قال

تعالى : ﴿ **وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ [الأنفال : ٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ **ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون . إنما يعمر مساجد الله مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾ [التوبة : ١٧ - ١٨] .

فإذا كان مَنْ هو كذلك مطرودًا منها مصدودًا عنها ، فأي خراب لها أعظم من ذلك ، وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط ، إنما عمارتها بذكر الله فيها ، وإقامة شرعه فيها ، ورفعها عن الدنس والشرك .

وقوله تعالى : ﴿ **أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين** ﴾ [البقرة : ١١٤] ، هذا خبر معناه الطلب ، أي لا تُمكنوا هؤلاء - إذا قدرتم عليهم - من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية ، ولهذا لما فتح رسول الله ﷺ مكة ، أمر منَ العام القابل في سنة تسع أن ينادى برحاب منى : « ألا لا يحجنَّ بعد العام مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عريان ، ومن كان له أجل فأجله إلى مدته » .

وقال بعضهم : ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين ، على حال التَّهيّب ، وارتعاد الفرائص من المؤمنين ، أن يبطشوا بهم ، فضلًا أن يستولوا عليها ، أو يمنعوا المؤمنين منها . والمعنى : ما كان الحق والواجب إلا ذلك ، لولا ظلم الكفرة وغيرهم .

وقيل : إن هذا بشارة من الله للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام ، وعلى سائر المساجد ، وأنه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفا ، يخاف أن يؤخذ فيعُاقب ، أو يُقتل إن لم يسلم ، وقد أنجز الله هذا الوعد ، كما تقدم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام ، وأوصى رسول الله ﷺ : « ألّا يبقى بجزيرة العرب دينان ، وأن تُجلى اليهود والنصارى منها»، ولله الحمد والمنة ؛ وما ذاك إلا لتشريف أكناف المسجد الحرام ، وتطهير البقعة التي يعث فيها رسوله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرًا صلوات الله عليه ،

وهذا هو الخزي لهم في الدنيا ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ..

فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صُدُّوا عنه ، وكما أجلوْهم من مكة أُجلوا منها .

﴿ **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** ﴾ [البقرة : ١١٤] على ما انتهكوا من حرمة البيت وامتهنوه ، من نصب الأصنام حوله ، والدعاء إلى غير الله عنده ، والطواف به عريانًا ، وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرهها الله ورسوله .

وأما من فسّر بيت المقدس ، فقال كعب الأحبار : إن النصارى لما ظهروا على بيت القدس خرّبوه . فلما بعث الله محمدًا ﷺ أنزل عليه : ﴿ **ومن أظلم .. الآية** ﴾ [البقرة : ١١٤] فليس في الأرض نصراني يدخل بيت المقدس إلا خائفًا .

وقال السدي : فليس في الأرض رومي يدخله اليوم إلا وهو خائف أن يضرب عنقه ، أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها .

وقال قتادة : لا يدخلون المساجد إلا مُسَارقة .

قلت : وهذا لا ينفي أن يكون داخلًا في معنى عموم الآية ، فإن النصارى لما ظلموا ببيت المقدس بامتهان الصخرة التي كانت يصلي إليها اليهود ، عوقبوا شرعا وقدرًا بالذلة فيه إلا في أحيان من الدهر ، وكذلك اليهود لما عصوا الله فيه أيضًا أعظم من عصيان النصارى كانت عقوبتهم أعظم – والله أعلم – اهـ .

وكم من مسجدٍ جعلوه ديرًا   على محرابه رُسِمَ الصليبُ
دمُ الخنزيرِ فيه لهم خَلُوقٌ   وتحريقُ المصاحفِ فيه طِيبُ

واليهود سيجازيهم الله بجنس أعمالهم في بيت المقدس .

ويصور شاعر مجيئه إلى المسجد الأقصى بعد احتلال اليهود له .

وما كا يُفتح للنور بابْ ..
ويومض للخطو حزنُ الترابْ ..
وقفنا وكادت خطانا تُشَلُّ بأعتابه !
... وكادت رؤنا تُغلُّ على بابه !
وكدنا نُحِسُّ ..

... بأنا بأرض ضللنا إليها طريق الصلاهْ .
وأنّا اتجهنا إلى ساحةٍ .
لها نسبٌ بفجور العصاهْ .
وحاشا .. وحاشا .. لبيت الإلهْ !
وجدنا الصلاهْ ..
بغايا من الشرِّ ترقص فوق الحريقْ .
وجدنا الأذانْ ..
شياطينَ لغوٍ .. تهاترُ بالإسم عبر الطريقْ .
وجدنا المصَلَّى ..
ميادين لهو ، تخاصر فيها الخنا والفسوقْ .
وجدنا الحمام الذي كان يصغي .
لصوت الحواميم يخْضَرُّ منه السكونُ العريقْ ،
... ويهدل بالطهر نشوانَ يشرب من كل حرفٍ خشوع الرحيقْ ..
ذبيح الأمان ..
جريح المكان ..
يولول في صمته لا يفيق !!
.. وجدنا التراب الذي فيه صلى .. « محمدْ » .
حريقًا .. به لعنة الله تُرغي وتُزبدْ .
... وجدنا المنابرَ تحكي مجازر للطهر مخنوقة في العروقْ .
.. وجدنا على صخرة الحق ليلًا .. ينادى الشروقْ .
ونارًا .. تشدُّ يد النورِ .. من قاعِ ليلٍ عميقْ .

○ المشاؤون في الظلم إلى المساجد ○

قال رسول الله ﷺ : « بشر المشائيين في الظلم إلى المساجد بالنور التام

يوم القيامة »(١) .

قال المناوي : لما قاسوا مشقة ملازمة المشي في ظلمة الليل إلى الطاعة ، جُوزوا بنورٍ يضيء لهم يوم القيامة ، وهو النور المضمون لكل مشّاء إلى الجماعة في الظلمة .

قيل : إنما قيد النور التام ؛ لأنَّ أصل النور يعطى لكل من تلفظ بالشهادتين من مؤمن أو منافق ؛ لظاهر حرمة الكلمة ، ثم يقطع نور المنافقين فيقولون : ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ [التحريم : ٨](٢) والجزاء من جنس العمل .

مشوا في الظلم إلى المساجد ، فأنعمنا عليهم بالنور التام يوم القيامة .

ظلمة بنور ، والجزاء من جنس العمل .

○ من بني لله مسجدًا ○

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ بنى لله مسجدًا ؛ بنى الله له بيتًا في الجنة »(٣).

وقال : « من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة أو أصغر ؛ بنى الله له بيتًا في الجنة »(٤) .

وقال : « من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة لبيضها ؛ بنى الله له بيتًا في الجنة »(٥) .

---

(١) رواه أبو داود والترمذي عن بريدة ، وابن ماجة والحاكم عن أنس ، وعن سهل بن سعد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٨٢٠ ، تخريج المشكاة ٧٢١ ، صحيح أبي داود ٥٧٠ .

(٢) فيض القدير (٣ / ٢٠١) .

(٣) رواه ابن ماجة عن علي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٠٣ ، الروض النضير (٨٨٣ ، ٩٥٤) .

(٤) رواه ابن ماجة عن جابر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٠٤ ، تخريج الترغيب (١ / ١١٧) .

(٥) رواه أحمد عن ابن عباس ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٠٥ ، الروض النضير (٢/٢٨٥ ، ٩٥١) .

وقال : « من بنى مسجدًا لله يُذكرُ الله فيه ؛ بنى الله له مثله في الجنة »[١].

وقال : « من بنى مسجدًا ، يبتغي به وجه الله ؛ بنى الله له مثله في الجنة »[٢].

قال ابن حجر :

« ولو كمفحص قطاة » حمل أكثر العلماء ذلك على المبالغة ؛ لأن المكان الذي تفحص القطاة عنه ؛ لتضع فيه بيضها وترقد عليه ، لا يكفي مقداره للصلاة فيه .

وقيل : بل هو على ظاهره ، والمعنى أن يزيد في مسجد قدرًا يحتاج إليه تكون تلك الزيادة هذا القدر ، أو يشترك جماعة في بناء مسجد ، فتقع حصة كل واحد منهم ذلك القدر ، وهذا كله بناء على أن المراد بالمسجد ما يتبادر إلى الذهن ، وهو المكان الذي يتخذ للصلاة فيه ، فإن كان المراد بالمسجد موضع السجود ، وهو ما يسع الجبهة فلا يحتاج إلى شيء مما ذكر[٣] .

« بنى الله له مثله » قال ابن حجر[٤] : لفظ المثل له استعمالان :

أحدهما : الإفراد مطلقا كقوله تعالى: ﴿**أنؤمن لبشرين مثلنا**﴾ [المؤمنون : ٤٧].

والآخر : المطابقة كقوله تعالى : ﴿ **أمم أمثالكم** ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

فعلى الأول : لا يمتنع أن يكون الجزاء أبنية متعددة ؛ لاحتمال أن يكون المراد : بنى له عشرة أبنية مثله .

والأصل أن ثواب الحسنة الواحدة واحد بحكم العدل، والزيادة عليه بحكم الفضل .

ومن الأجوبة المرضية أيضًا : أن المثلية هنا بحسب الكمية ، والزيادة حاصلة

---

(١) رواه أحمد عن عمرو بن عبسة والنسائي ، ورواه ابن ماجة عن عمر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٠٦ ، وتخريج المشكاة رقم ٣٣٨٥ ، وتخريج الترغيب (١/١١٧).

(٢) رواه أحمد والبيهقي والترمذي وابن ماجة عن عثمان .

(٣) فتح الباري (١ / ٦٤٩) .

(٤) فتح الباري (١ / ٦٥٠) .

بحسب الكيفية ، فكم من بيت خيرٌ من عشرة بل من مائة ، أو أن المقصود بالمثلية أنّ جزاء هذه الحسنة من جنس البناء لا من غيره ، مع قطع النظر عن غير ذلك ، مع أن التفاوت حاصل قطعًا بالنسبة إلى ضيق الدنيا ، وسعة الآخرة ، إذ موضع شبر فيها خير من الدنيا وما فيها كما ثبت في الصحيح .

وقد روى الإمام أحمد من حديث واثلة بلفظ : « بنى الله له في الجنة أفضلَ منه » ، وللطبراني من حديث أبي أمامة بلفظ : « أوسعَ منه » .

وهذا يشعر بأن المثلية لم يقصد بها المساواة من كل وجه .

وقال النووي : يحتمل أن يكون المراد أن فضله على بيوت الجنة كفضل المسجد على بيوت الدنيا .

يا هذا ... بيوت الدنيا من طين وحجر وتراب ، ومدَر وحديد وخشب ، وجريد وقصب ، إن لم يُكنس كثرت فيه القمامة ، وإن لم يسرج فما أشد ظلامه ، وإن لم يتعاهد بالبناء فما أسرع انهدامه ، وإن تعاهدته فمآله إلى الخراب ، وعن قريب يصير كالتراب ، يتفرق عنه السكان ، وتنتقل عنه القطان ، يعفو أثره ، ويندرس خبره ، يمحى رسمه ، وينسى اسمه .

فأين أنت .. من دار باقية ، قصورها عالية ، أنهارها جارية ، قطوفها دانية ، أفراحها متوالية ، لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، لا تعب فيها كلا ولا نصب ، وملاطها المسك الأذفر .. فهل سمعت عن ملاط من مسك ؟! وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر .

فمن بنى لله بيتًا .. بنى الله له بيتًا في الجنة والجزاء من جنس العمل .

قال تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويُلَقَّوْن فيها تحية وسلامًا﴾ [الفرقان : ٧٥].

اليوم يحضر العبد بيته لأداء العبادة ، وينقل أقدامه إلى المساجد ، وغدا يجازيهم بأن يكفيهم قطع المسافة ، فهم في مستقر عزهم يسمعون كلام الله ، وينظرون إلى الله .

من تطهّر في بيته :

قال رسول الله ﷺ : « من تطهر في بيته ، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ؛ ليقضي فريضة من فرائض الله ، كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة »[١] .

فعلى قدر نقل الخطوات ، تكون رفعة الدرجات ، وحطّ السيئات ، والجزاء من جنس العمل .

○ من توضأ فأحسن الوضوء ○

قال رسول الله ﷺ : « من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جسده ، حتى تخرج من تحت أظفاره »[٢] .

وقال : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء »[٣] .

قال المناوي : « تبلغ الحلية » أي التحلي بأساور الذهب والفضة المكلل بالدر والياقوت « من المؤمن » يوم القيامة .

قال الطيبي : ضمن « تبلغ » معنى تتمكن ، وعدّي بمِنْ ؛ أي تتمكن من المؤمن الحلية مبلغا يتمكن الوضوء منه[٤] . والجزاء من جنس العمل ..

قال الحسن : الحلي في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء .

وقال رسول الله ﷺ : « أمتي يوم القيامة غُر من السجود ، محجلون من الوضوء »[٥] .

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – .

(٢) رواه أحمد في مسنده ، ومسلم عن عثمان – رضي الله عنه – .

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٤) فيض القدير (٣ / ٢٢٧) .

(٥) رواه الترمذي عن عبد الله بن بسر ، وقال : حديث حسن صحيح غريب ، ورواه أحمد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، رقم ١٣٩٣ ، والسلسلة الصحيحة رقم ١٠٣٠ .

قال المناوي : قال الأشرف : « غُرّ » جمع أغرّ ، وهو الأبيض الوجه ، والمحجل من الدواب ما قوائمه بيض ، مأخوذ من الحجل وهو القيد ، كَأنه مقيد بالبياض ، وأصله في الخيل ، وأصل الغرة لمعة بياض بجبهة الفرس ، ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر ، والمراد بها هنا النور الكامن في وجوه هذه الأمة .

والتحجيل بياض في ثلاث من قوائم الفرس ، أصله الحجل : الخلخال ، والمراد به أيضًا هنا النور « غر من السجود » أي من أثر السجود في الصلاة ، قال تعالى : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾ [الفتح : ٢٩] . وهذا لا تدافع بينه وبين خبر الشيخين : « إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء » . وما ذلك إلا لأن المؤمن يكسى في القيامة نورًا من السجود ، ونورًا من أثر الوضوء ، نورٌ على نورٍ ، فمن كان أكثر سجودًا أو أكثر وضوءًا في الدنيا ، كان وجهه أعظم ضياءً وأشد إشراقا من غيره ، فيكونون فيه على مراتب من عظم النور والأنوار ، لا تتزاحم ، ألا ترى أنه لو أدخل سراج في بيت ملأه نورًا ، فإذا أُدخل فيه آخر ثم آخر امتلأ بالنور من غير أن يزاحم الثاني الأول ولا الثالث الثاني ، وهكذا(١) .

○ تسوية الصفوف ○

قال رسول الله ﷺ : « أقيموا الصفوف ، فإنما تُصفُّون بصفوف الملائكة ، وحاذوا بين المناكب ، وسُدُّوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفًا وصله الله ، ومن قطع صفًا قطعه الله عز وجل »(٢).

---

(١) فيض القدير (٢ / ١٨٤) .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والطبراني عن ابن عمر ، وصححه الألباني : تخريج المشكاة ١٠٠٢ ، صحيح أبي داود رقم ٦٧٢ ، والسلسلة الصحيحة ٧٤٣ ، تخريج الترغيب (١ / ١٧٣) ، صحيح الجامع ١١٩٨ ، ورواه النسائي والحاكم .

قال المناوي : « من وصل صفًا » بوقوفه فيه ، وصله الله برحمته ورفع درجته ، وقرّبه من منازل الأبرار ، ومواطن الأخيار ، « ومن قطع صفًا » بأن كان فيه فخرج منه لغير حاجة أو جاء إلى صف ، وترك بينه وبين من بالصف فرجة بلا حاجة « قطعه الله » أي أبعده عن ثوابه ومزيد رحمته ، إذن الجزاء من جنس العمل ، فيُسنُّ انضمام المصلين بعضهم لبعض ، ليس بينهم فرجة ولا خلل ، كأنهم بنيان مرصوص .

قال ابن حجر :

قد ورد الأمر بتعديل الصف وسد خلله ، والترغيب في ذلك في أحاديث كثيرة ، أجمعها هذا الحديث[(١)] .

وقال رسول الله ﷺ : « من وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله »[(٢)] .

والجزاء من جنس العمل .

أما عن جواز الصلاة خلف الصف فقد قال الشيخ السعدي في الفتاوى لما سُئل عن صلاة المنفرد خلف الصف إذا كان الصف تامًا : لا بأس أن تصلي خلف الصف منفردًا ؛ لأنك معذور ، وهذا القول وسط بين قول من يرى أن الصلاة خلف الصف صحيحة ولو لغير عذر ، وقول من قال : إنها غير صحيحة ولو لعذر ، والصواب هذا التفصيل : إن وجدت في الصف محلًّا تقوم فيه من غير أن تزاحم أحدًا ، فلا يجوز أن تصف وحدك ، وإن وجدت الصف تامًّا من كل جانب ، فهو عذر وصف ولو وحدك ، وتابع الإمام ، والله أعلم[(٣)] .

قال رسول الله ﷺ : « أقيموا صفوفكم ، فوالله لتقيمن صفوفكم أو

---

(١) فيض القدير (٢ / ٧٥ - ٧٦) .

(٢) رواه النسائي والحاكم عن ابن عمر ، وأحمد وأبو داود وابن خزيمة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٦٦ ، وتخريج الترغيب (١ / ١٧٤) وتخريج المشكاة ١١٠٢ .

(٣) الفتاوى السعدية ١٧٢ .

ليخالفن الله بين قلوبكم »[١] .

قال المناوي : ردّد بين تسويتهم صفوفهم ومن هو كاللازم لنقيضها ، وهو اختلاف القلوب ، فإن تقدم الخارج عن الصف يفوت على الداخل ، وذلك يجر إلى الضغناء بينهم ، فتختلف قلوبهم ، واختلاف القلوب يفضي إلى اختلاف الوجوه .

وهذا جزاء من جنس العمل كخبر من قتل نفسه بحديدة عُذب بها .

وقال النووي : الظاهر أن معناه : يُوقع بينكم العداوة ، واختلاف القلوب كما يقال : تغير وجه فلان ، إذا ظهر على وجهه كراهية ؛ لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في الظواهر ، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن[٢] .

○ الإقبال على الله وعدم الالتفات ○

قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم في صلاته ، فإنه يناجي ربه ، وإن ربه بينه وبين القبلة ، فلا يبزقن أحدكم قِبَل قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدمه »[٣].

وقال ﷺ : « إن الرجل إذا دخل في صلاته ، أقبل الله عليه بوجهه ، فلا ينصرف عنه حتى ينقلب ، أو يحدث حدث سوء »[٤] .

وقال ﷺ : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة ، فإنما يستقبل ربه »[٥] .

وقوله ﷺ : « فالله يقبل عليه بوجهه ما لم يصرف وجهه عنه »[٦] .

قال ابن القيم : قال ﷺ : « إن الله يأمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ، ما لم يلتفت » .

وقال جابر – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ : « إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه ، فإذا التفت أعرض الله عنه ، وقال : يابن آدم ، أنا خير ممن تلتفت إليه ، فإذا أقبل على صلاته أقبل الله عليه ، فإذا التفت أعرض الله عنه » .

---

(١) رواه أبو داود عن النعمان بن بشير ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٢٠٢ ، صحيح أبي داود ٦٦٨ ، والسلسلة الصحيحة رقم ٣٢١ .

(٢) فيض القدير (٢ / ٧٦) .

(٣) أخرجه البخاري .

(٤) أخرجه ابن ماجة .

(٥) أخرجه الإمام أحمد .

(٦) أخرجه النسائي .

وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عيني الرحمن، فإذا التفت قال له: ابن آدم، إلى مَنْ تلتفت؟ إلى خير لك مني تلتفت »[١].

أَقْبَلَ على الله فأقبل الله عليه، والتَفَت فأعرض الله عنه ..

والجزاء من جنس العمل ..

أيها المعرض عنَّا   إن إعراضك منَّا
لو أردناك جعلنا   كل ما فيك يردْنَا
عباد أعرضوا عنا   بلا جرم ولا معنى
أساءوا ظنهم فينا   فهلَّا أحسنوا الظنَّا
فإن خانوا فما خنَّا   وإن عادوا فقد عدنا
وإن كانوا قد استغنوا   فإنا عنهمو أغنى

صلى أبو زرعة الرازي عشرين سنة، وفي محرابه كتابة فسئل عن الكتابة في المحراب فقال: قد كرهه قوم ممن مضى، فقالوا له: هو ذا في محرابك كتابة أما علمت به؟ قال: سبحان الله رجل يدخل على الله، ويدري ما بين يديه ..!

وهذا هو الربيع بن خثيم، سيد من سادات التابعين، تلميذ عبد الله بن مسعود: اشترى فرسًا بثلاثين ألفا فغزا عليها، ثم أرسل غلامه يسار يحتشُّ، وقام يصلي، وربط فرسه، فجاء الغلام وقال: يا ربيع أين فرسك، قال: سرقت، قال: وأنت تنظر إليها ؟! قال: نعم، يا يسار إني كنت أناجي ربي عز وجل، فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء، اللهم إنه سرقني، ولم أكن لأسرقه، اللهم إن كان غنيًّا فاهده، وإن كان فقيرًا فأغنه[٢].

سرقت فرسه .. وهو ينظر إليها، ولم يشغله ذلك عن مناجاة الملك العلام.

ما عنك يشغلني مالٌ ولا ولدٌ   نسيت باسمك ذكر المالِ والولدِ
فلو سفكتَ دمي في الترب لانكتبتْ   به حروفك لم تنقصْ ولم تَزِدِ

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٨٨).

(٢) الزهد ٣١-٣٢، مختصر قيام الليل ٢٧.

قال رسول الله ﷺ : « أسرق الناس الذي يسرق صلاته ، لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وأبخل الناس من بخل بالسلام »[١] .

قيل لعامر بن عبد قيس : أما تسهو في صلاتك ، قال : أو حديث أحب إليّ من القرآن حتى أشتغل به !! هيهات ، مناجاة الحبيب تستغرق الإحساس .

وكان مسلم بن يسار ، لا يلتفت في صلاته ، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ، فزع لها أهل السوق فما التفت ، وكان إذا دخل منزله ، سكت أهل بيته ، فإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا ، علما منهم أن قلبه مشغول ، وكان يقول في مناجاته : إلهي ، متى ألقاك وأنت عني راضٍ ..؟

إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهمْ جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي
فمن لي بأنْ ألقاك في ساعة الرضا ومن لي بأنْ القاك والكل لي.. من لي؟

يا واقفًا في صلاته بجسده والقلب غائب .. ما يصلح ما بذلته من التعبد مهرًا للجنة ، فكيف ثمنًا للجنة ..!؟ رأت فأرة جملًا فأعجبها ، فجرّت خطامه فتبعها ، فلما وصل إلى باب بيتها ، وقف ونادى بلسان الحال : إما أن تتخذي دارًا يليق بمحبوبك ، أو محبوبًا يليق بدارك . خذ من هذا إشارة : إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودك ، أو تتخذ معبودًا يليق بصلاتك[٢] .

وكان ابن الزبير إذا قام إلى صلاته كأنه عود ، وكان يقال : ذلك من خشوعه ، لو رأيته وهو يصلي لقلت غصن شجرة يصفقها الريح ، وكان يُسمَّى : حَمَام المسجد .

رحل والله ، أولئك السادة ، وبقي قرناء المهاد والوسادة ، فأين وصفك من هذه الأوصاف ؟ وأين شجر الزيتون من شجر الصفصاف ؟!

لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم ليس السليم إذا مشى كالمقعدِ

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مغفل ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٩٧٧ .

(٢) المدهش لابن الجوزي ٤٧٢ - ٤٧٣ .

○ السجـود ○

قال رسول الله ﷺ : « أكثر من السجود ، فإنه ليس من مسلم يسجد لله تعالى سجدة إلا رفعه الله بها درجة في الجنة ، وحطّ عنه بها خطيئة »[١] .

قال المناوي : « ليس من مسلم يسجد لله تعالى سجدة » صحيحة « إلا رفعه الله بها درجة في الجنة » التي هي دار الثواب « وحطّ عنه بها خطيئة » أي محا عنه بها ذنبًا من ذنوبه ، فلا يعاقبه عليه[٢] .

كلما سجد ، وتذلل لله تعالى في الدنيا ، ووضع جبهته محل أقدام الناس ، رفعه الله تعالى في الآخرة لأعلى الدرجات ، ومحا عنه السيئات ، وأدخله فسيح الجنات ، والجزاء من جنس العمل .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يسجد لله سجدة ، إلا كتب الله له بها حسنة ، وحطّ عنه بها سيئة ، ورفع له بها درجة، فاستكثروا من السجود »[٣].

وقال أيضًا : « ما من عبد يسجد لله سجدة ، إلا رفعه الله بها درجة ، وحط بها عنه خطيئة »[٤] .

قال المناوي[٥] : فإن قيل : ما الفرق بين رفع الدرجة وكتب الحسنة ، فقد يكون رفع الدرجة بسبب كتابة الحسنة ؟ قلنا : رفع الدرجة ، وإن كان

---

(١) رواه ابن سعد ، وأحمد في مسنده عن أبي فاطمة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٢١٥ ، والسلسلة الصحيحة ١٥١٩ .

(٢) فيض القدير للمناوي (٢ / ٨٣) .

(٣) رواه ابن ماجة والطبراني ، والضياء عن عبادة بن الصامت ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٦١٨ ، والترغيب (١ / ١٤٥) ، ورواه أحمد .

(٤) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان عن ثوبان وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٦١٧ ، والإرواء ٤٥٦ .

(٥) فيض القدير (٥ / ٤٨٦) .

بسبب اكتساب الحسنة ، فالسبب غير المسبب ، فهما شيئان ، وأيضًا : رفع الدرجة قد لا يكون مرتبًا على اكتساب الحسنة ، فقد يمحى بكتابتها سيئة أخرى .

والساجد أذل ما يكون لربه وأخضع له .. وذلك أشرف حالاتِ العبد ، فإن السجود سر العبودية .

○ المؤذن ○

قال رسول الله ﷺ : « إنَّ المؤذن يغفر مدى صوته ، ويصدقه كل رطب ويابس سمع صوته ، والشاهد عليه خمس وعشرون درجة »(١) .

قال المناوي: قال ابن العربي: والمؤذنون أفضل جماعة دعت إلى الله عن أمر الله ورسوله، ولولا رفق المصطفى ﷺ بأمته لأذن، فإنه لو أذن، وتخلف عن إجابته من سمعه إذا قال : «حي على الصلاة» عصى ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾(٢) [الأحزاب: ٤٣].

وقال رسول الله ﷺ : « إني أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة ، فارفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا حجر ولا شيء ، إلا شهد له يوم القيامة »(٣) .

وقال : « المؤذن يغفر له مدى صوته ، ويشهد له كلُّ رطب ويابس ، وشاهد الصلاة يُكتب له خمس وعشرون صلاة ويُكفر له ما بينهما »(٤) .

وقال ﷺ : « المؤذن يغفر له مدّ صوته ، وأجره مثلُ أجر من صلى معه »(٥).

---

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٩٢٥ ، والترغيب (٢ / ١٠٧) وعنه رواه ابن حبان

(٢) فيض القدير ٦ / ٣٤٩ .

(٣) رواه أحمد ، ومالك ، والبخاري ، والنسائي ، وابن ماجة ، عن أبي سعيد ، وهو صحيح .

(٤) رواه أحمد وأبو داود، والنسائيّ، وابن حبان، وابن ماجة، عن أبي هريرة، وصححه الألباني في الجامع ٦٥٢٠ وتخريج المشكاة ٦٥٧٥ .

(٥) رواه الطبراني عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٥١٩ ، وصحيح الترغيب (١ / ١٠٧ - ١٠٨) .

قال المناوي : « المؤذن يغفر له مدَّ صوته » يعني يغفر له مغفرة طويلة عريضة على طريق المبالغة ؛ أي يستكمل مغفرة الله إذا استوفى وسْعَه في رفْع الصوت ، وقيل : تغفر خطاياه وإن كانت بحيث لو فرضت أجسامًا ملأت ما بين الجوانب التي يبلغها(١) .

والجزاء من جنس العمل .

وقال رسول الله ﷺ : « المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة »(٢) .

قال المناوي : « أطول الناس أعناقا يوم القيامة » يعني أكثرهم تشوفا إلى رحمة الله ؛ لأن المتشوف يطيل عنقه إلى ما تشوف إليه ، أو يكونون سادة ، والعرب تصف السادة بطول العنق .

ومن أجاب دعوة المؤذن يكون معه أو أكثر الناس رجًا ؛ لأن من رجا شيئًا طال إليه عنقه ، والناس حين الكرب يكون المؤذنون أكثرهم رجاء .

وقال القاضي : وتعديل عنق الرجل وطوله كناية عن فرحه وعلو درجته وإنافته على غيره .

أو المراد: إذا وصل العرق إلى الأفواه طالت أعناق المؤذنين لئلا ينالهم ذلك(٣).

عَلا صوتهم فَرُفِعت درجاتهم ، وحُطَّت سيئاتهم ، وشهد لهم من سمعهم ، وفي وقت الكرب طالت أعناقهم ، تشوفا إلى رحمة ربهم .. والجزاء من جنس العمل ، كما تشوفت أعناقهم برفع صوتهم عند الأذان في الدنيا ، فكذلك تتشوف أعناقهم طولا لرحمة الله في الآخرة .

○ فضل الجمعة ○

قال رسول الله ﷺ : «إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث

---

(١) فيض القدير (٦ / ٢٤٩) .

(٢) رواه أحمد ومسلم وابن ماجة عن معاوية ، وهو صحيح ، صححه الألباني في صحيح الجامع ٦٥٢١ .

(٣) فيض القدير (٦ / ٢٥٠) .

الجمعة زهراء منيرة لأهلها ، فيحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها ، تضيء لهم ، يمشون في ضوئها ، ألوانهم كالثلج بياضًا ، رياحهم تسطع كالمسك ، يخوضون في جبال الكافور ، ينظر إليهم الثقلان ، ما يتركون تعجبا ، حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون »[1] .

فكما بكروا إلى الجمعة ، وتطيبوا ، وشاهدهم الناس في الدنيا ، فإنهم يبعثون كذلك يوم القيامة ، والجزاء من جنس العمل .

وهذا في حق من سارع إلى الجمعة ، والجزاء من جنس العمل .

يقول ابن القيم في النونيّة عن يوم المزيد في الجنة :

أوَمَا سمعتَ بشأنهم يوم المزيـ ـد وأنه شأن عظيم الشأنِ
هو يوم جمعتنا ويوم زيارة الـرَّحمن وقت صلاتنا وأذانِ
والسَّابقونَ إلى الصلاة هُمُ الأُلى فازوا بذاكَ السبقِ بالإحسانِ
سبقٌ بسبقٍ والمؤخر هاهنا متأخر في ذلك المَيْدَانِ
والأقربون إلى الإمام فهم أولو الـزُّلْفى هناك فها هنا قربانِ
قربٌ بقربٍ والمباعد مثله بعدٌ ببعدٍ حكمة الديانِ
ولهمْ منابرُ لؤلؤٍ وزبرجدٍ ومنابرُ الياقوتِ والعِقْيانِ
هذا وأدناهمْ وما فيهم دني مَنْ فوق ذاكَ المسكِ كالكثبانِ

يقول الهراس في شرح النونية :

ذكر أبو نعيم من حديث المسعودي عن المنهال عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : « سارعوا إلى الجمعة في الدنيا ، فإن الله تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة في كل جمعة على كثيب من كافورٍ أبيض ، فيكونون منه سبحانه في القرب على قدر سرعتهم إلى الجمعة ، ويحدث لهم من الكرامة شيئًا لم يكونوا رأوه قبل ذلك ، فيرجعون إلى أهليهم وقد أحدث لهم » .

---

(١) رواه مالك والبيهقي عن أبي موسى وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٦٨ ، والصحيحة رقم ٧٠٦ .

فالسابقون إلى الصلاة يوم الجمعة هم السابقون في الذهاب إلى الله عز وجل في يوم المزيد ، الذي هو يوم زيارة الرب تعالى ، والمتأخرون هنا متأخرون هناك جزاءً وفاقًا .

وكذلك الأقربون إلى الإمام في يوم الجمعة يكونون هم أهل الزلفى والقرب عند الله ، فقربهم هناك بحسب قربهم من الإمام ، وبُعْدهم بحسب بعدهم كذلك .

ولهم هناك في هذا الوادي الذي يسمى وادي المزيد منابرُ من اللؤلؤ والياقوتِ والزبرجدِ والذهبِ ، وأدناهم منزلة - وليس فيهم دنيء ولا ناقص - يجلسون على كثبان المسك ولا يجدون لأهل المنابر فضلًا عليهم[1] .

سبق بسبق والجزاء من جنس العمل .

○ المتهجدون ○

قال تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ [السجدة : ١٦ -١٧] .

قال القرطبي :

وقال آخرون : عنى بها قيام الليل ، قاله الجمهور من المفسرين وعليه أكثر الناس ، وهو الذي فيه المدح .

وهو قول مجاهد ، والأوزاعي ، ومالك بن أنس ، والحسن بن أبي الحسن وأبي العالية ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** ﴾ [السجدة : ١٧] ؛ لأنهم جوزوا على ما أخفوا ، بما خفي .

وقال الحسن : أخفى القوم أعمالًا ، فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[2].

---

(١) شرح النونية - لمحمد خليل هراس (٢ / ٤٢١ - ٤٢٢) .

(٢) القرطبي ص٥١٨٢ .

قال ابن القيم :

تأمل كيف قابلَ ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهِم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة[١] .

قال الأوزاعي : من أطال قيام الليل هوّن الله عليه وقوف يوم القيامة .

والجزاء من جنس العمل .

○ التأخر عن الصلاة ○

أما الذين يتأخرون عن الصلاة وعن الصفوف الأولى.. فلننظر إلى جزائهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله »[٢] .

ومعنى قوله : « لا يزال قوم يتأخرون » أي عن الصفوف الأولى .

« حتى يؤخرهم الله » عن رحمته أو عظيم فضله ، ورفع المنزلة ، وعن العلم ، ونحو ذلك[٣] .

تأخروا في الدنيا عن الصفوف الأولى ، فأخّرهم الله عز وجل يوم القيامة .

والجزاء من جنس العمل .

○ اكفني أول النهار ○

قال رسول الله ﷺ : « إن الله يقول : يابن آدم اكفني أول النهار أربع ركعات ، أكفك بهن آخر يومك »[٤] . والجزاء من جنس العمل ..

---

(١) حادي الأرواح لابن قيم الجوزية ص٢٧٨ .

(٢) أخرجه مسلم ، وابن خزيمة في صحيحه .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٤ / ١٥٩) .

(٤) صحيح : صححه الألباني في صحيح الجامع ١٩٠٩ ، تخريج الترغيب (١/٢٣٦).

فسبحان من قضى على الغافلين كسلًا وقعودًا ، ورفع المتقين علوًّا وصعودا ، ومنحهم من إنعامه فوزًا وسعودًا ، بمطلوبهم ﴿ **يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم** ﴾ [آل عمران : ١٩١] .

أنعم عليهم فأعطاهم ، واستخلصهم واصطفاهم ، وقليل ماهم ، اشتغل الناس بدنياهم ، واشتغلوا بذكر محبوبهم ﴿ **يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم** ﴾ .

قنعوا بأدون المطعم واللباس ، وألقوا نفوسهم في المساجد كالأحلاس[١] ، يمشون بالسكينة بين الناس ، وما دروا بهم في دروبهم ﴿ **يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم** ﴾ .

اكتفوا من الليل بيسير النوم ، واشتغلوا بالصلاة والصوم ، وكانت – والله – همم القوم في صلاح قلوبهم ﴿ **يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم** ﴾ .

لبسوا ثياب السفر ، ورحلوا على أكوار[٢] السَّهَر ، فلو سمعت وقت السَّحَر ، ترنم طروبهم ﴿ **يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم** ﴾ .

يعتذرون من زلل القدم ، ويتمنون بعد الوجود العَدَم ، وقد بعثوا رسالة الندم ، مع مندوبهم ﴿ **يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم** ﴾ .

قلبتهم الأشجان ، وغيرتهم الأحزان ، ينزعجون لما قد كان ، من سالف ذنوبهم ﴿ **يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم** ﴾[٣].

* * *

(١) جمع حِلْس ، وهو الكِسَاء الذي يبسط في البيت .
(٢) جمع كور ، وهو الرحل الذي يوضع فوق ظهر البعير .
(٣) التبصرة لابن الجوزي (٢/٣٠٨ - ٣٠٩) .